الظواهر اللغوية للهجة الحسانية ومقارنتها مع العربية الفصحى

الخليل أخنيبلة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان

الملخص

تناقش هذه الدراسة اللهجة الحسانية، مقارنًا إياها بالعربية الفصحى. يعرض البحث لتعريف اللهجة الحسانية وأصول متكلميها وحدود بلادهم، وارتباط اللهجة الحسانية باللغة العربية، وشهادة الباحثين من الناطقين بها، وشهادة الباحثين الكولينياليين على ذلك، والظواهر التي وافقت وخالفت فيها الحسانية العربية على المستوى الصوتي، والظواهر التي وافقت وخالفت فيها الحسانية العربية على المستوى الصرفي الاشتقاقي. تقوم الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج المقارن.

وتوصلت الدراسة إلى أن الحسانية لهجة عربية معاصرة، ولا يمكن اعتبارها لغة مستقلة، ولا لهجة خليط بين العربية والأمازيغية البربرية.

الكلمات المفتاحية: اللهجة-الحسانية-العربية-الفصحى-الصوت-الصرف.

Abstract

This study discusses the Hassani dialect comparing it to Classical Arabic. The study presents the definition of the Hassani dialect, the origins of its speakers, the borders of their country, the connection of the Hassani dialect to the Arabic language, the testimony of researchers from its speakers, the testimony of colonial researchers on that, the phenomena in which Arabic Hassani dialect agreed and disagreed with Classical Arabic at the morphological and derivational levels. The study is based on the descriptive and comparative approaches.

The study concluded that Hassaniya is a contemporary Arabic dialect that cannot be considered an independent language, nor a mixture of Arabic and Berber dialects.

Keywords: *dialect - Hassaniya - Arabic - Classical Arabic - phonetics - morphology.*

مقدمة

الحمد لله خلق الإنسان، وجعل له شفتين ولسانًا، ليفصح عما احتواه الجنان، والصلاة والسلام على سيد العالمين، أفصح الناطقين، فارس البيان والتبيين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد:

فإن اللغة العربية لغة القرآن، اجتمع عليها المسلمون عربيهم وعجميهم، ثم بعد توالي القرون، وتشعب أحفاد معد بن عدنان في أطراف البلدان، تولدت لهجات عربية حديثة، وقد كان من هذه اللهجات اللهجة الحسانية التي ظهرت في شمال أفريقيا، وكان لهذه اللهجة ارتباط كبير بالعربية، وتميزت هذه اللهجة بمجموعة من الظواهر الصوتية والصرفية

إشكال البحث

علاقة اللهجة الحسانية بالعربية الفصحى من خلال مقارنة الظواهر الصوتية والصرفية والاشتقاقية بالعربية الفصحى. وينبني على ذلك هل الحسانية لهجة عربية، أم لغة مستقلة، أم خليط بين العربية والبربرية؟

أهمية البحث

إثبات علاقة اللهجة الحسانية بالعربية، لاسيما وقد يدعي بعضهم أنها من أصول عربية وبربرية مختلطة، كما هدف البحث التعريف باللهجة الحسانية لاسيما في دول المشرق الذين قد لا يعرفونها، وكذلك التعريف بما تحتوي عليه من ظواهر عربية محضة، لا توجد في غيرها من اللغات الأخرى؛ مما يعني صحة ادعاء أنها ربيبة اللغة العربية. وربما أقرب اللهجات العربية المعاصرة إلى العربية الفصحى.

مناهج البحث

المنهج الوصفي التحليلي المقارن بدراسة لسانية للهجة الحسانية وما تحتويه من ظواهر لغوية ومقارنة هذه الظواهر باللغة العربية الفصحى.

تصميم البحث

مقدمة: فيها إشكال البحث، وأهميته، ومناهجه، وتصميمه.

مدخل عام: التعريف باللهجة الحسانية.

المحور الأول: ارتباط اللهجة الحسانية بالعربية الفصحى.

المحور الثاني: الظواهر الصوتية باللهجة الحسانية ومقارنتها بالعربية الفصحى.

المحور الثالث: الظواهر الصرفية والاشتقاقية باللهجة الحسانية ومقارنتها بالعربية الفصحى.

خاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

مدخل عام: التعريف باللهجة الحسانية

كانت قبيلتا بني هلال وبني سليم تعترضان سبل الحجاج في الجزيرة العربية، فنفاهم الخليفة الفاطمي عبد العزيز بن المعز إلى مصر في القرن الرابع هجري، ولما كانوا مصدر قلق بمصر، وقامت بالمغرب ثورة البربر، أنحلهم المستنصر الفاطمي ملك المغرب ليتخلص منهم وذلك في القرن الخامس، وفي القرن السابع دخل بنو معقل، وهم من بني هلال في طاعة الدولة المرينية، إلا أن السلطان يوسف بن يعقوب ضايقهم فاتجهوا إلى الصحراء طلبًا للحرية والنفوذ ولقمة العيش. ثم بعد ذلك اتجه بنو حسان من بني معقل إلى ما يسمى حاليًا بلاد البيضان، فاتخذوها لهم وطنًا. **قال ناعمي مصطفى:** "ومعلوم أن السياسة الانتقامية لسلطان مصر كانت السبب في إرسال قبيلتي بني هلال وبني سليم إلى إفريقيا خلال القرن الحادي عشر، وقد كان في موكب بني هلال قبيلة بني معقل الصغيرة، حيث قدر ابن خلدون عدد أفرادها بمائتي أعرابي، وقد كان بديهيًا أن يصادرها الأمازيغيون ويبعدونها عن مواقعهم وسهولهم، فكان أن اتبعت مراحل الواحات في انزواء تام نحو الجنوب مخترقة (وادان، الفزان، توات، درعة، حتى واد نون)" (ناعمي، 1988، ص: 89).

وتطلق بلاد البيضان أو تراب البيضان على "مجال جغرافي واسع يمتد من وادنون شمالًا إلى نهر السينغال جنوبًا، ومن المحيط الأطلسي غربًا إلى مالي (تمبكتو) شرقًا" (فعراس، 2014، ص10). فهذه هي الحدود الجغرافية للناطقين باللهجة الحسانية.

ويؤكد **أحمد ولد الحسن** البقعة الجغرافيا للناطقين باللهجة الحسانية، وأنهم من قبيلة بني معقل الوافدين فينقل عن ابن خلدون بقوله: "ويحدثنا ابن خلدون أن المعقل في عهده من أوفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الأقصى، وينتهون إلى البحر المحيط...وبعد أن يقسم معقلًا إلى ثلاثة فروع: ذوي عبيد الله، وذوي منصور، وذوي حسان، يحدد صاحب المقدمة مواطن ذوي حسان من درعة إلى البحر المحيط، مضيفًا أنهم ينتجعون كلهم في الرمال إلى مواطن الملثمين من گدالة ومسوفة ولمتونة، ثم يذكر حروب بني حسان مع بني مرين بالسوس في أوائل القرن 8ه/11م، مما أدى إلى استبداد العرب بهذه المنطقة الواقعة في أقصى الجنوب من المغرب الأقصى" (ولد الحسن، 2004، ص: 52).

وهذا يوضح أصول الناطقين باللهجة الحسانية؛ أنهم عرب خلص وافدون. لهذا كان قدومهم "أكبر حدث عرفته الضفة الشمالية للصحراء الأطلسية ساعتها هو ما نعتبره أكبر صدمة بشرية، حيث شكل مجيء بني معقل السبب الرئيسي في تغيير الخصائص القومية الأمازيغية" (ناعمي، 1988، ص89). ومن مظاهر هذا التغيير تعريب لسانهم باللهجة الحسانية العربية.

اللهجة الحسانية

أحسن ما تعرف به اللهجة الحسانية أن نقول هي: "اللهجة التي يتحدث بها المجتمع الحساني تسمى الحسانية وهي لهجة بني حسان (وهذا سبب تسميتها بالحسانية)... وتعرف الحسانية عند متكلميها بكلام البيضان، وخاصة في

موريتانيا لتميزها من اللهجات الإفريقية" (فعراس، 2014، ص: 11). وقال عنها صاحب الوسيط ذاكرًا بعض صفاتها وخصائصها "أهل اللغة المذكورة (الحسانية) يسمونها كلام حسان، ولا أدري من هو حسان، وأهل اللغة الأخرى يقولون لها كلام حسان، وكلام العرب، وهي لغة بعضها -وهو القسم الأكبر-عربي ظاهر، إلا أن تسكين المحرك كثير فيه، وبعضها لا نعرف له اشتقاقًا، وليس مأخوذًا من اللغة البربرية، لأنه لا يوجد فيها" (الشنقيطي، 1961، ص: 513). واعتبرها الخليل النحوي من أقرب لهجات المغرب العربي خصوصًا إلى الفصحى، ومن أنقى لهجات البلاد العربية عمومًا : "وتعتبر الحسانية أقرب لهجات المغرب العربي إلى الفصحى، ولعلها من أنقى اللهجات العربية عمومًا" (النحوي، 1987، ص: 41). وإن كان هذا حكمًا كبيرًا، ويحتاج استقراء تام ومقارنة شاملة؛ ولكن الخليل هو فارس ميدان اللغة العربية، وله خبرة باللهجات العربية، وحكم منه لا يغفل عنه.

سبب نشأة اللهجة الحسانية

- السبب الرئيسي هو وفود عرب المغافرة **قال محمد المختار ولد أباه**: "بعد وصول عرب المغافرة قامت نهضة جديدة في ميدان التعريب، فدخلت اللغة العربية (الحسانية) جميع البيوت والخيام؛ فحدث امتزاج بين الثروة اللغوية التي جاء بها الوافدون، والثروة التي تكمن في الروح الإسلامية، والعلوم الدينية في السكان الأصليين (لمتونة)... وقد ساعد هذا الالتحام في تكوين اللهجة العامية (الحسانية) التي لم تلبث أن استكملت خلقها وحلت تدريجيًا محل اللغة البربرية" (ولد أباه، 2003، ص: 15). فكان لهذه الوفود أثر على السكان الأصليين فامتزجت الثقافتان، إلا أن اللسان العربي كان هو السائد. **قال محمدو أمين**: "فالمعروف أن الحسانية هي اللهجة المتداولة في المنطقة منذ أن تمكنت القبائل العربية الوافدة عليها من بسط نفوذها على هذا المجال، ابتداء من القرن السادس عشر حسب الشهادات التاريخية، وإذا كان هؤلاء الوافدين الجدد لم يتمكنوا من توحيد المجال البيضاني سياسيًا تحت ظل سلطة مركزية موحدة، فإنهم تمكنوا من تحقيق ذلك الغرض على المستوى الثقافي عن طريق نشر لغتهم العربية (الحسانية) في المناطق الممتدة من وادي درعة شمالًا إلى نهر السينغال جنوبًا، ومن المحيط الأطلسي غربًا إلى أزواد شرقًا" (أمين، 2018، ص: 16). وبهذا يظهر أن العرب الوافدين ما كانوا ليفرطوا في لغتهم؛ لغة العروبة والإسلام، لاسيما وهم المنتصرون على السكان الأصليين.

المحور الأول: ارتباط الحسانية بالعربية

يتجلى ارتباط اللهجة الحسانية بالعربية في عدة تجليات، منها:

- **ارتباط السكان الأصليين بالحسانية**

قال أحمد ولد الحسن: "ومن السهل تحديد بداية تقريبية لهذا التعرب اللغوي إذ هو مرتبط ببدء السيطرة الحسانية (ق8ه/14م)" (ولد الحسن، 2004، ص: 76). والسبب في هذا الارتباط هو تغلب بني حسان العسكري، وأيضًا ارتباط السكان الأصليين بالدين جعلهم يجدون في هؤلاء الوافدين بغيتهم اللغوية. فكانت النتيجة "قد حلت محلهما (البربرية والأزيرية) بالتدريج اللغة الحسانية؛ وهي العامية العربية التي كانت تتكلمها قبائل بني حسان حتى تناسى أكثر سكان البلدان أن أسلافهم تكلموا غيرها، وأصبحت على حد تعبير ابن الأمين الشنقيطي (اللسان العام في البلاد)". (ولد الحسن، 2004، ص: 75).

قال أحمد ولد الحسن: "حدث (دخول قبائل بني حسان العربية إلى هذه الصحراء وبسط سيطرتهم العسكرية والسياسية عليها) نعتبره تحولًا جذريًا في تاريخ المنطقة ذا مظهرين حاسمين:

1- إقامة نظام سياسي واجتماعي متميز سميناه في المدخل المنهجي بالنموذج الحساني.

2- تعرب سكان المنطقة تعربًا متدرجًا لا رجعة فيه" (ولد الحسن، 2004، ص: 51).

لهذا كان من أسباب تعرب السكان الأصليين أمران بارزان؛ هما أيضًا من دواعي ارتباط السكان الأصليين بالعربية، وهما: ديني واجتماعي. "أما الديني فالاتجاه إلى إكبار العرب والاقتداء بهم، وهو مصاحب لاعتناق الإسلام مترسخ برسوخ ثقافته. وأما الاجتماعي فهو المتعلق بدلالة العروبة نسبًا ولسانًا وثقافة على النبل والعزة في مقابل دلالة البربرية على الانتماء إلى قوم منهزمين فكريًا وسياسيًا" (ولد الحسن، 2004، ص74). فوصل هذا الارتباط إلى حد التنقص وعيب من لحن أو أخطأ في اللهجة الحسانية. " يعاب وينتقص من قدر المتكلم لو استبدل مفردة مخصصة لمعنى ما بغيرها، وقد ينال سخرية السامعين وربما تقريعهم مع العتاب" (الزبير، 2013، ص: 44). بل وصلت هذه السخرية إلى من رقق ما حقه التفخيم، أو فخم ما حقه الترقيق، ومما يدل على شدة هذا الارتباط حدث طريف، وخبر بليغ ذكره **الخليل النحوي قال**: "ويتناقل الناس أن امرأ قيس الشعر العامي الحساني «سدوم بن انجرتو»، كان يغرب في عاميته، فإذا استشكل الناس بعض كلماته فتحوا لها القاموس المحيط للفيروزآبادي" (النحوي، 1987، ص: 41). فهذا الخبر دليل جلي، وبرهان قوي على الأصل الأصيل والحق الأثيل في ارتباط اللهجة الحسانية بالعربية الفصحى، وذكر لي شيخنا محمد عالي بن محمد يحي آل عدود (أسرة علم مشهورة بموريتانيا ومن أشهرهم محمد سالم ولد عدود) أن أحد آبائه كان ينكر على من يؤخر أداة الاستفهام في اللهجة الحسانية، فكان ينزل على اللهجة الحسانية قواعد اللغة العربية. لهذا نجد قول اليدالي: "إن الحسانية هي

القنطرة لأهل هذا العهد إلى العربية" (ولد الحسن، 2004، ص: 89). فهذه حال أبناء الثقافة الحسانية.

- **شهادة الكولينياليين الغربيين**

لم تكن ملاحظة ومعرفة ارتباط اللهجة الحسانية بالعربية الفصحى حبيسة عقول وأفكار أبناء الثقافة الحسانية، وإنما لاحظ الأعداء -والحق ما شهدت به الأعداء- ذلك من الكتاب الغربيين؛ فهم أيضًا لاحظوا الارتباط الوثيق للحسانية باللغة العربية، فاستفادوا في كتبهم من الثقافة المعجمية من الكتب العربية القديمة **قال بوزيد لغلى:** "عني المستعمرون من ضباط الشؤون الأهلية الفرنسية بجمع وتدوين وتوثيق المصطلحات الحسانية مستفيدين من خبرة العرب الأولين في وضع معاجم خاصة بالإبل حسب ما أقر به «فانسان منصور مونتاي» في كتابه الصادر بالفرنسية تحت عنوان" essai sur Le chameu au Sahara accidental" (بوزيد، 2017، ص: 24).

ولهذا بلغ من اقتناعهم بهذا الارتباط أن اعتمدوا على خبرة العرب الأوائل في المعاجم، وهم يؤلفون معاجم عن اللهجة الحسانية في أمور كولينيالية محل حزم ودقة.

بل صرح مونتاي على ندمه على عدم مقارنة اللهجة الحسانية باللغة العربية، وليس هذا حبًا في الحسانية، وإنما من أجل الوصول إلى معلومات دقيقة تسهل على المستعمر الفرنسي بلوغ أغراضه في المنطقة. **قال بوزيد لغلى:** "ذكر في تقييداته (فانسان منصور مونتاي) التي صدر بها على غير العادة لائحة المصادر والمراجع المعتمدة، أنه عاج على ما خلفه الأصمعي وابن سيده، مبديًا أسفه على عدم تمكنه من مقاربة كل مصطلح حساني ومقارنته بنظيره الفصيح المبثوث في ذينك المصنفين، وكأنه تحسس مسيس الحاجة إلى رد كثير من المصطلحات العامية إلى أصولها الفصيحة ". (بوزيد، 2017، ص: 23-24). فهذان شاهدان من السكان الأصليين والمستعمرين الغربيين على ارتباط الحسانية بالعربية، اتضح ذلك من أقوالهما وأفعالهما. لكن الحقيقة العلمية لإثبات هذا الارتباط تحتاج دراسة الظواهر اللغوية في اللهجة الحسانية ومقارنتها بالعربية الفصحى.

المحور الثاني: الظواهر الصوتية باللهجة الحسانية ومقارنتها بالعربية الفصحى

إذا كان أبناء اللهجة الحسانية والباحثون الغربيون متفقين على ارتباط اللهجة الحسانية بالعربية الفصحى، فيبقى إثبات ذلك من حيث توافق الظواهر اللغوية بينهما.

ومن أهم هذه الظواهر؛ الظواهر الصوتية.

1. **الظواهر الصوتية التي وافقت فيها الحسانية اللغة العربية.**

يقول بوزيد لغلى: "فهي (الحسانية) كباقي اللغات واللهجات كائن حي يؤثر ويتأثر وينمو ويضمحل ويموت، ولعل من أجمل فوائد الأدب الحساني صونه للفظ الموات المندثر والمندرس" (بوزيد، 2017، ص: 7). فإذا كانت الحسانية استطاعت صون اللفظ الموات، فلا بد من بقاء الخصائص الصوتية العربية. وعند البحث نجد أول هذه الخصائص الصوتية العربية في اللهجة الحسانية هي:

- **الحروف العربية**

قال المختار ولد أباه -خصائص اللهجة الحسانية-: "الاحتفاظ بجميع الحروف المعروفة في الفصحى حسب النطق البدوي، بحيث لا تلتبس بعض الحروف المتقاربة المخرج، مثل: الثاء والسين، والذال والزاي، ولو كنا نلاحظ عدم الفرق بين الضاد والظاء «فالضالة» و«الضوء» و«العض» تنطق في اللهجة الحسانية، مثل ما تنطق الظاء" (ولد أباه، 2003، ص: 16). وموافقة الحسانية للعربية في هذه الحروف التي يغلب على المناطق المجاورة للمجتمع البيضان الخلط في نطاقها، فنجد من ينطق الذال دالًا، والثاء تاء، بينما ينطقها مجتمع البيضان باللسان الحساني كما هي في العربية الفصحى، بل قد نقول لا يوجد في المغرب العربي عمومًا من ينطقها كماهي من غير مجتمع البيضان، بل تميز أغلب مجتمع البيضان بنطقه الضاد الصحيحة وليست الضاد الشائعة عند عامة المجتمع العربي، وهو نطق قد يوجد في بوادي نجران بجنوب الجزيرة العربية كما يوجد في بوادي نجد، والعراق. **قال عبد الغفار حامد هلال:** "والملاحظ -حديثًا- أنها (أي الضاد) تنطق كالظاء في لهجات الجزيرة العربية والعراق" (هلال، 2008، ص: 486). وهذه الضاد يظهر للسامع شبهها بالظاء وليست هي بالظاء.

قال أحمد الأمين" والحاصل أن هذه الضاد المألوفة عندي وعند غيري غير صحيحة؛ لأنها تباين التي وصفها سيبويه"، (الشنقيطي، 1961، ص: 516). ثم أشار إلى فسادها عند الكثير بقوله: "وقد أطلنا في هذين الحرفين (ج؛ ض) لفساد الأول عند المغرب، وفساد الثاني عند الجميع" (الشنقيطي، 1961، ص: 517).

والحروف التي تميز بها الناطقون بالحسانية عن غيرهم هي: "النطق الصحيح للحروف اللثوية: الذال والثاء والظاء، ففي عدد من اللهجات العربية تلفظ الذال كالدال أو زايًا" (الزبير، 2013، ص: 78).

فاللهجات العربية خصوصًا بالمغرب العربي نجد نطقهم الذال دالًا، والثاء تاءً، كما يوجد من اللهجات العربية من ينطق الظاء زايًا وهكذا.

لهذا كانت الحسانية " تمثل قيمة للتراث العربي لكونها خزانًا ثريًا للكلمات والصيغ والتعابير العربية الفصيحة، التي يتهددها النسيان والتي أغفلت أمهات الكتب والمعاجم العربية الإشارة إلى البعض منها" (الزبير، 2013، ص: 26). والتي ذكرنا منها النطق الصحيح للذال والثاء والظاء والضاد.

2. **الظواهر الصوتية التي خالفت فيها الحسانية اللغة العربية.**

تميزت اللهجة الحسانية بمجموعة من الظواهر الصوتية التي قد يظهر أنها تخالف العربية، ومن أبرز هذه الظواهر:

- **التسهيل والتخفيف في الكلمات**

عد **بوزيد لغلى** تسهيل الهمزة ميسمًا خاصًا بالحسانية، قال: "ومن أبين الظواهر الصوتية التي يمكن عدها ميسمًا خاصًا بالحسانية يميزها عن العربية الفصحى ما يلي: 1- تخفيف الهمزة وسط الكلمة (الغايب/ الغائب) وتخفيفها أو حذفها في آخر الكلمة (السما)." (بوزيد، 2017، ص: 17). وهذا التسهيل معروف في لسان العرب، بل وردت به قراءة قرآنية سبعية متواترة؛ وهي القراءة التي يقرأ بها الناطقون باللهجة الحسانية؛ وهي قراءة نافع من رواية ورش. **قال سبحانه وتعالى: {ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها أو مثلها}** (سورة البقرة، الآية: 104.)

2- "حذف الهمزة تخفيفًا: تحذف الهمزة في بعض الأسماء والصفات والأفعال، وهو شائع في بعض اللهجات العربية القديمة فيقال: كاس، باس، برات، جات" (الزبير، 2013، 80). وهذه مثل السابقة في التسهيل بنطق الهمزة.

3- "استخدام الاسم الموصول (اللي) بدلًا من الذي أي بحذف الذال" (بوزيد، 2017، ص:18). وهذا إن لم يكن له أصل في لغة العرب -ولا يحيط باللغة إلا نبي- فهو حذف ربما قام على سرعة الكلام وحذف ما استثقله اللسان.

4- "الإدغام يتم إدغام بعض الحروف كقولهم (بلبون) وهو (ابن لبون) في اللغة العربية ويقصد به ولد الناقة إذا دخل سنه الثالثة". (الزبير، 2013، ص: 79). والإدغام ظاهرة صوتية عربية واضح فيها أن سببها كثرة الكلام حتى يسمع كأنه مدغمًا، فتجري الكلمتان بسبب ذلك كاللفظ الواحد، ولكن يبقى جذر الكلمة عربية، والإدغام ظاهرة عربية، والعرب تحذف ما استثقل أو كثر جريانه على لسانها.

- **الإبدال والقلب:** وله صور كثيرة في الحسانية، لا تخرج في غالبها عن اللهجات العربية القديمة مثل: الكشكشة والكسكسة والجعجعة وغيرها، "ومن صوره إبدال الألف ياء في (خيط؛ خاط) أو إبدالها واوا في مثل (أوكل، توكل/ تأكل)" (بوزيد، 2017، ص: 17).

وأيضًا نجد "إمالة حرف الألف نحو الواو أو إبدالها بها تسهيلًا للنطق (لوذنين)" (بوزيد، 2017، ص: 18). هذا يتعلق بتسهيل الهمزة ولا يستغرب لكثرة اشتغال مجتمع البيضان بالقرآن حفظًا وتلاوة أن تأثروا بقواعد التلاوة في لسانهم، لهذا نجد الإمالة في كلامهم وترقيق الراء الساكنة المفتوح ما قبلها والمكسور ما بعدها. كما أن "اختلاف اللهجات يعد من العوامل الهامة في تفسير ظاهرة الإبدال" (هلال، 2008، ص: 381). لهذا يحتاج إلى دراسة شاملة للهجات العربية القديمة ومقارنتها بما ورد في الحسانية من قلب وإبدال.

- **نطق بعض الحروف خلاف نطقها الصحيح**

"تنفرد الحسانية بنطق القاف كافًا معقودة، مثل: (گاف/ قاف) والضاد ظاء، والغين عند البعض قافًا" (بوزيد، 2017، ص: 18). ويقال إن هذه الكاف المعقودة المصرية ورثها عرب بني حسان من سكان مصر أيام استقرارهم بمصر. وهذا النطق عند كثير من العرب مثل اليمن والسودان. **قال عبد الغفار حامد هلال**: "معظم القبائل البدوية (اليمنية) تنطقها (أي القاف) كافًا مجهورة كالجيم القاهرية، وبعض السودانيين العرب وبعض القبائل في جنوب العراق ينطقون قافًا مجهورة قريبة من الغين؛ فيقولون مثلًا: في (الاستقلال/ الاستغلال)، وبعض المصريين ينطقون القاف في بعض الكلمات غينًا، مثل يقدر تصير على لسانهم يغدر" (هلال، 2008، ص: 477). فهذا يدل على تأثر اللهجة الحسانية بالمصرية، وأن ما فيها من نطق خلاف الفصحى يوجد له أصل عربي بعد التفتيش. وأنها أبعد ما تكون عن الصنهاجية أو الأمازيغية.

لهذا عند تأمل هذه الظواهر الصوتية فهي لا تخرج اللهجة الحسانية عن العربية إلى الصنهاجية كما يدعي بعضهم ولا إلى غيرها، فهذه الظواهر إما أن نجد لها أصلًا في اللغة العربية أو هي استثناء من القاعدة يؤكد أنها لهجة عربية، وليست هي اللغة العربية الفصحى، لأنه بدون هذه الاستثناءات ستكون اللهجة الحسانية هي العربية الفصحى.

المحور الثالث: الظواهر الصرفية والاشتقاقية باللهجة الحسانية ومقارنتها بالعربية الفصحى

اهتم المجتمع الحساني بلسانه اهتمامًا بالغًا، يلحنون ويعيبون المرء على ترقيقه المفخم من الحروف فضلًا عن قلب وإبدال الحروف، فكانوا يولون الكلمة مكانة خاصة على تعبير السوسيولوجي **محمد دحمان** حيث يقول: "المجتمع الحساني يولي مكانة خاصة للكلمة وبالتالي للسان إن المثل الحساني يقول: «كثر أكلامك تعود ولي» أو «لكلام الزين إخلص الدين» يضرب لرد الغرماء بأحسن القول كالاعتذار وتهذيب العبارة، ولذلك كان قول «لغن» (الشعر) وحكايته من خصال الفتوة والحضور في الملأ" (دحمان محمد، 2011، 282). فلا شك أن هذا الاهتمام بالكلمة يجعل المجتمع محافظًا على الأوزان الصرفية، والصيغ الاشتقاقية للكلمة، لكن عند تأمل هذا الكلام نجد ظواهر صرفية واشتقاقية عربية أصيلة، وتوجد ظواهر ليست عربية.

1. الظواهر الصرفية والاشتقاقية التي وافقت فيها الحسانية اللغة العربية

إن من أشهر ما يستدل به المدافعون عن عربية الحسانية هو وجود التثنية بخلاف بعض اللهجات المحلية الأخرى.

- **التثنية**: "إثبات التثنية في شكلها النحوي، ولو كانوا يلزمون الياء في المثنى فيقول مثلا: (گالوا راجلين) بمعنى قال رجلان، على لغة «أكلوني البراغيث» كما يقول النحويون" (ولد أباه،

2003، ص: 16). فإثبات التثنية هو موافقة واضحة للعربية الفصحى.

• **وزن انفعل وافتعل:** "وجود بعض أوزان الفعل المزيد التي لم تعد موجودة في جل اللهجات العربية مثل: «انفعل» و «افتعل» فتقول انفتح الباب" (ولد أباه، 2003، 16). فوجود هذين الوزنين مما استدل به القائلون بعربية الحسانية، لاسيما إذا علم انعدام هذين الوزنين في غيرها من بعض اللهجات العربية.

• **الاشتقاق**: نجد الحسانية تشتق عددًا كبيرًا من الكلمات من جذر واحد وبأوزان مضبوطة ومتعددة، فهي لهجة اشتقاقية. قال غالي الزبير: "كما نجد الدقة في صياغة الفعل ومشتقاته فمثلًا الفعل: كسر نجد «نكسر» و«تكسر» و«متكسر» و«مكسور» و«منكسر» وغيرها" (الزبير، 2013، 46).

• **الفعل الثلاثي المعتل:** "إذا كان الفعل المعتل ثلاثيًا أو أجوفًا نطق كما ينطق بالفصحى، مثال: ولد، باع...وليست هناك قاعدة للفيف المفروق فأحيانًا ينطق قياسًا على الفصحى، مثل: وصى، ولى، وأحيانًا يضاف إليه الألف في بداية الكلمة، مثل: أوعى وغيرها" (الزبير، 2013، ص: 93). ولا شك أن مثل هذه الزيادات هي من مميزات اللهجات وزيادتها.

ولما كان هذا التوافق بين الحسانية والعربية في القواعد والأوزان، جعل بعض الباحثين يحثون على تعليم اللهجة الحسانية من خلال دروس مادة اللغة العربية، ولم يقع في ذهنهم أن تدرس مع اللغة الأمازيغية أو غيرها، رغم أن الدستور المغربي نص على الأمازيغية والحسانية بالتساوي، وأنهما إحدى مقومات الهوية المغربية. **قالت خديجة أطويف**: "تدريس اللهجة الحسانية كظاهرة لغوية ضمن مقررات مادة اللغة العربية في السنة الثانية من السلك الإعدادي، الهدف هو جعل التلاميذ يضبطون بوعي ومعرفة مبادئ وأسس اللهجة الحسانية لتساعدهم في البعد الوظيفي التواصلي انطلاقًا من مراعاة مرجعيات قواعد اللغة العربية الفصحى" (الطويف، 2013، 75).

2. الظواهر الصرفية والاشتقاقية التي خالفت فيها الحسانية اللغة العربية

لما كانت الحسانية لسان بني معقل الوافدين والذي عاشوا ردحًا من الدهر في مصر، ثم في وسط المغرب، ثم قدموا إلى بلاد الملثمين وهم صنهاجة بلا شك كان لكل ذلك أثر عليها، وإن كان أثرًا ضئيلًا، يتجلى في بعض المظاهر الصرفية والاشتقاقية التي يبدو فيها مخالفة الحسانية للعربية عند بعض المشتغلين باللسان الحساني، ومن ذلك:

• **التوسع في باب أسماء الأفعال**: "الحسانية تستعمل فيها أسماء الأفعال وما هو في حكمها بصورة واسعة من قبيل (تش) وتأتي بمعنى أنصت، وتقال: عادة ليلًا، ومثل: (أز و أش) وتقالان: للغنم قصد إبعادها وتقابلها (صب) تقال: للقط، و(أروس) وتقال: للكلب، و(كرش) وتقال: للدجاج، و(تش) وتقال: للبعير، حثًا له على الإناخة و(حح) وتقال: للاستعانة و(مر) وتقال: لاستهجان" (الزبير، 2013، 56). والحقيقية أن هذه الكلمات هي أصوات لمخاطبة الحيوانات لا كلمات يقصد منها مخاطبة البشر، أو أصوات لا كلمات. مثل: الحنحنة.

• **اسم المذكر والمؤنث**: "فالاسم المذكر فيها يبدأ بحرف المد «آ» مثل: آغراب، آمخول (اسم الجمل)، آردين (اسم آلة موسيقية خاصة بالنساء)، أو بالألف المفتوحة دون مد «أ» كما في كلمات «أجار» و«أساتف»، وقد يبدأ بالألف المكسورة، مثل: «إيشير». (الصبي) بينما يبدأ الاسم المؤنث بحرف التاء، مثل: «تسوفرة، تورطة»، وقد ينتهي الاسم المؤنث بحرف التاء" (الزبير، 2013، ص: 62). ولا شك أن هذه الصيغ صنهاجية، بل بعض هذه المفردات صنهاجية، ولكن هذه المفردات الغالبة عليها أن تتعلق بما لا يمكن للسان بني معقل الوافدين أن يغيره، وهي أسماء الأعلام الجغرافية، وبعض آلات الموسيقى والمفرادت الموسيقية التي ارتبطت بالسكان الأصليين، **قال غالي الزبير**: "وترد هذه الصيغ من الجمع في الأعلام الجغرافية المحلية" (الزبير، 2013، 63).

• **تصغير الأفعال**: "الحسانية تصغر فضلًا عن الاسم، الفعل والصفة أيضًا، فيقال في الحسانية فلان يليعب ويبيكي، عيمى، حيمر" (الزبير، 2013، 89). وهذا من التوسع، ومخالفة القاعدة العربية في تصغيرها الأسماء وحدها، ويدل أنها لهجة من لهجات العربية لا مستقلة عنها.

• **إلزام المثنى وجمع المذكر السالم الياء:** "يكون المثنى دائمًا في حالة النصب حتى لو كان في موضع الرفع أو الجر، من قبيل جاو راجلين، وريت راجلين، وتكلمت مع راجلين...والملاحظة نفسها تنطبق على جمع المذكر السالم كقولنا: يقولوا المسلمين ويوحد المسلمين وبين المسلمين كلها بصيغة واحدة دون تغير" (الزبير، 2013، 91). ومعلوم أن بعض العرب يلزمون المثنى الألف في جميع حالات الإعراب، فلا يستبعد أن يكون من لهجات العرب التي لم تدون ممن كان يلزم المثنى الياء في جميع حالاته، لاسيما إذا علمنا أن هذا الاستعمال موافق للعربية المصرية وهو "إلزام المثنى وجمع المذكر الياء في جميع حالات الإعراب" (هلال، 2008، 462).

• **"إسقاط نون النسوة**: إسقاط نون النسوة في اللهجة الحسانية فيعامل جمع المؤنث معاملة جمع المذكر ولعل هذا دارج في أغلب اللهجات العربية" (الزبير، 2013، 92). ولا أعلم لهذا تبريرًا إلا أن يكون الاستثقال الذي تسعى اللهجات الخروج منه طلبًا للخفة في الكلام فعاملوا جمع المؤنث معاملة جمع المذكر.

• **عدم تصريف الأفعال المضعفة**: "عدم تصريف الأفعال المضعفة كما هو الحال في الفصحى بصيغتها المعروفة، بل معاملتها كالأفعال العادية، فيقال حجيت وظليت بدلًا من ظللت وحججت" (الزبير، 2013، ص: 92). وهذه لغة عربية فصيحة ومتداولة بالمشرق، لكن بعض المشتغلين باللهجة

الحسانية لقلة اطلاعهم بالعربية كل ما خالف ماهو مشهور ظنوه لحنًا وعجمة، وقد كان يكفيهم مراعاة الأوزان وجذور الكلمات. لتحديد الأعجمي من العربي، والحكم بالغالب لا بالنشاز، فالغالب على اللهجة الحسانية إنما هو موافقة ظواهرها الصرفية والاشتقاقية للغة العربية لا مخالفتها.

تنبيه

لم أتحدث عن عدد المفردات العربية في اللهجة الحسانية وذلك لوفرتها وكثرة عددها، وقد أخبرني الأديب الكبير والأريب الخبير باللهجة الحسانية «بشر ولد حيدار» أن النسبة المئوية للمفردات العربية في اللهجة الحسانية، ما يقارب ثمانين بالمئة.

خاتمة

الحمد لله في البدء والختام، وبعد الانتهاء من هذه المحاور توصلت إلى مجموعة من النتائج العلمية، والتوصيات العملية والبحثية التي تفتح أمام الباحث مقاربة الموضوع من ناحية أو نواحي أخرى متعددة، تساهم في تطور الإنسانية، وتعزز سبل التعايش بينها، لاسيما أبناء الأمة الواحدة، الأمة العربية. فكان **من أبرز النتائج:**

أن الناطقين باللهجة الحسانية هم من عرب بني معقل وافدون من المشرق وبلا خلاف في ذلك.

1) أن مجتمع البيضان هو المجتمع الوحيد الناطق بالحسانية في شمال أفريقيا خصوصًا والعالم العربي عمومًا.

2) الاتفاق بين الباحثين الكبار من أبناء مجتمع البيضان وغيرهم من الباحثين الغربيين على الارتباط الوثيق بين الحسانية والعربية.

3) أن الحسانية وافقت العربية الفصحى في أغلب المظاهر الصوتية والصرفية الاشتقاقية، ولم تخرج عن اللهجات القديمة في ذلك.

4) أن الدارس والباحث في اللهجة الحسانية لابد أن يكون واسع الاطلاع على اللغة العربية ولهجاتها القديمة والحديثة، لأن كثيرًا من ظواهرها له أصل في اللغة العربية أو لهجات القبائل العربية القديمة.

5) أن ما ورد في الحسانية من صيغ ومظاهر مخالفة للعربية في الفصحى هو قليل جدًا، وهو يؤكد أنها لهجة تابعة للعربية لا لغة مستقلة.

- **التوصيات**

1) إقامة أبحاث ودراسات لمقارنة اللهجات العربية المعاصرة في مختلف دول العالم العربي ومدى التقارب بينها، وربط ذلك بالأصول العرقية، والامتدادات الجغرافية.

2) دراسة خصائص اللهجة الحسانية وما انفردت به عن العربية، ومقارنته باللهجات العربية المعاصرة بالبلاد العربية، من أجل إيجاد لهجة عربية قديمة مندثرة.

المصادر والمراجع

- ✓ القرآن الكريم
- ✓ أمين محمدو، (2018). ***مدخل إلى تاريخ البداوة***. ط الأولى. الجمهورية الإسلامية الموريتانية: وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع البرلمان.
- ✓ بوزيد، لغلى. (2017). ***التراث الشعبي الحساني ثراء وتنوع***. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ✓ دحمان محمد. (2011). ***حماية الثقافة الشفهية الحسانية***. *التراث الصحراوي التاريخ والذاكرة*. المغرب الداخلة أعمال ندوة الداخلة الدولية المجلس الوطني لحقوق الإنسان: دار النشر ملتقى الطرق زنقة الصنعاني، الدار البيضاء.
- ✓ الزبير غالي. (2013). ***نظرات في اللهجة الحسانية***. فرنسا: دار النشر لارماتان.
- ✓ الشنقيطي أحمد بن الأمين. (1961). ***الوسيط في تراجم أدباء شنقيط***، بعناية فؤاد سيد، ط: الثالثة. مصر: الناشر مكتبة الخانجي وبالمغرب الدار البيضاء: مكتبة الوحدة العربية.
- ✓ الطويف خديجة. (27 يونيو 2013). ***مشروع إدماج الثقافة الحسانية في المقررات الدراسية*** :*مادة التاريخ نموذجًا*. إدماج الثقافة الحسانية في منظومة التربية والتكوين. المغرب- الرباط: المجلس الوطني لحقوق الإنسان.
- ✓ فعراس عبد العزيز. (27 يونيو 2013). ***إدماج الثقافة الحسانية في المنظومة التعليمية من خلال تجربة إرساء المنهاج التربوي الجهوي***. إدماج الثقافة الحسانية في منظومة التربية والتكوين. المغرب- الرباط: المجلس الوطني لحقوق الإنسان.
- ✓ ناعمي مصطفى. (1988). ***الصحراء من خلال بلاد تكنة؛*** *تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*. المغرب- الرباط: مكتبة الروضة الحيدرية.
- ✓ النحوي الخليل. (1987). **بلاد شنقيط المنارة والرباط،** تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- ✓ هلال عبد الغفار حامد. (2008). ***الصوتيات اللغوية*** *دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية*، ط الأولى. القاهرة: دار الكتاب الحديث.
- ✓ ولد أباه محمد المختار. (2003). ***الشعر والشعراء في*** *موريتانيا*. ط الثانية الرباط: دار الأمان.
- ✓ ولد الحسن أحمد. (2004). الشعر الشنقيطي *في القرن الثالث عشر الهجري مساهمة في وصف الأساليب*، ط الأولى. منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.